

## الروح والعالم بين العلية وبابل

"فكيف يسمع كل واحد منا لغته التي ولد فيها"

هناك حدث هام جداً تمّ في العنصرة وهو "تفاهم البشر"! فحين امتلأ التلاميذ يوم الخميس من الروح القدس "طفقوا يتكلمون..." وتخيّر الجمهور المجتمع من كل أمة على وجه الأرض، من الفريسيين والماديين والعيلايين... والكريتيين والعرب" وقالوا: "كيف نسمع كل منا لغته التي ولد فيها"، أليس جميع هؤلاء المتكلمين (الرسل) جليليين؟

كيف فهم كل هؤلاء المجتمعين، وهم يتكلمون بلغات مختلفة عديدة، كلام الرسل يوم العنصرة؟ هناك عدة احتمالات... أولاً أن المجتمعين بفضل الروح القدس فهموا كلهم لغة الرسل الواحدة (الجليلية- العبرية). أو ثانياً أن كل رسول صار يتكلم -بنعمة الروح- لغات كل تلك الأمم. أو ثالثاً كان هناك نوع من أعجوبة "ترجمة فورية" بحيث كان الرسول يتكلم العبرية وللغور كان تصل الكلمات لكل واحد بلغته.

يورد النصّ عبارة "وظفقوا يتكلمون بلغات أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا". بداية هذه (العبارة) للوهلة الأولى، توصي أن الاحتمال الثاني هو الوارد. أي أن كل رسول صار -بفاعلية الروح- يتكلم كل اللغات! ولكن السؤال هنا هل كان الرسول، إذن، يتكلم ويعظ باللغة العبرية أولاً، ثم العريية، ثم... مثلاً؟! مسار النصّ يوحي أن الرسول كان يعظ وعلى الفور كان الجميع يفهمون كلامه كل بلغته الخاصة!

هناك تفسير آبائي يعتمد على القسم الثاني من الآية، أي على "كما أعطاهم الروح أن ينطقوا". ماذا جرى إذن؟ هل هناك احتمال آخر عن الاحتمالات السابقة؟ وكيف نفهم هذا "التفاهم" الفوري؟ هل هناك لغة جديدة لا تؤثر عليها "الألسن" البشرية المختلفة والعديدة، وبهذه اللغة نطق الروح في

الرسول؟ الجواب هو نعم! عندما حلّ الروح القدس وامتلاءً التلاميذ روحاً تكلموا بالطبع بلغتهم التي روحها الروح وتفاهم الجميع معهم وفهموا عليهم. إنها حالة -ربّما ولو بتعبير تفسيري- ترجمة روحية مباشرة.

يتكلم القديسون لغة واحدة رغم تغاير الألسنة واللغات. نظرة سريعة إلى تقليدنا المسيحيّ الشريف الطويل تدلنا تماماً كيف تكلم القديسون كلاماً واحداً وكل بلغته الخاصة. هناك روايات عديدة في تقليدنا الرهباني يتلاقى فيها قديسون مع "أجانب" عن لغتهم التي يعرفونها، ويتحدّثون! تماماً كما جرى في العنصرة. هذه الحالة الروحية هي حالة استثنائية تفترض أن نمتلئ من الروح القدس. وهذا ما تمّ يوم العنصرة ويمكن أن يتمّ أي يوم في "ملء الروح".

لذلك في تقليدنا وفي ترانيم عيد العنصرة هناك مقارنة واضحة بين حدث "بابل" وحدث "العلية"، بين "تبليبل الألسنة واللغات" في بابل وبين "أن يفهم كلّ منا بلغته الخاصة". عندما تزايدت شرور البشر على الأرض وطرد الناس الروح وتمسّكوا إنما... بالجسد، عندها يروي الكتاب، شاء الله أن يختلف الناس بلغاتهم -ألستهم- ويتفرّقون إلى شعوب وأمم لا تفاهم الواحدة مع الأخرى. في بابل تمّ التمزّق البشريّ، في العنصرة "الاتحاد". علمنا اليوم مشدود من الطرفين، بين التمزّق وعدم التفاهم وبين الوحدة والتآخي.

لماذا تعدّد الألسنة وينقطع التفاهم؟ الظاهرة التي تتجلّى في تعدّد اللغات؟ هناك أناس لهم المفاهيم ذاتها ولكن بسبب من لغاتهم المتعدّدة مثلاً لا يستطيعون أن يفهموا. وهناك أناس لغتهم واحدة لكن مفاهيمهم متغايرة، وهؤلاء أيضاً لا يفهمون. ما تمّ في العنصرة، هو أن الامتلاء من الروح غلب تعدد اللغات، ان الوحدة بالروح حققت التفاهم رغم تغاير اللغات.

تعدّد الألسنة ويتوقّف التفاهم بالأساس بسبب من تغاير الغايات بين البشر واختلافها. عندما تكون أهداف البشر متضاربة أو متغايرة أو غير متشابهة عندها لا تفيد حتى اللغة الواحدة، ولا معرفة اللغات أيضاً.

أسباب التمزّق البشريّ وقطع التواصل عديدة وأهمّها أولاً الإيديولوجيات المختلفة والمتنوعة، والتي تظهر في السياسة والدين وجذور الحضارات الإنسانيّة. فينعت تياراً الآخر "بالضلال" ويُصبّ تيار

ذاته كـالـ"الهادي". وتتصارع وتتسابق التيارات في اقتناص الأسماء الرثانة، ونراها في النهاية تفرّق وتصدّف الناس، وللأسف أحياناً تمزّق. كأن أتباع هذا الدين أو ذلك الحزب هم لنظيرهم أعداء أو منافسون!

وحين تتضارب المصالح، بعد تعدّد الإيديولوجيات، فإن اللغة الحقيقية المبطنّة وراء سطور كلّ اللغات هي لغة المكر والرياء. وكيف سيّتحّد الناس ولا تجمعهم المحبّة، ولو وحدت فيما بينهم مسائل كاللغات أو سواها من المعطيات المشتركة بينهم؟ وهنا يمكننا أن نلاحظ فكر الإعلام والدعاية، التي صارت قادرة في أيامنا، وهي أيام أوجها، أن تقيم الباطل وتهدم الحقّ. ولغة الدعاية لا توحد يوماً بين كلّ الناس بل تُخضع طرفاً لآخر وتقيم الأول على الثاني، دون أن تكون الحقيقة دائماً هي المعيار، بل السلطة فيها للقويّ والقادر.

"الروح يقود إلى اتّحاد واحد" تقول ترانيم العيد. نحن في عالمنا اليوم أحوج إلى عنصرة منها إلى دعايات أو أيديولوجيات.. نحن بحاجة لشهادة الكنيسة الحيّة التي ليست هي مجرد كلمات وإثما فعل عنصرة دائمة في التاريخ. على الكنيسة أن تجعل العنصرة دائمة. أي أن يكون الناس ممثلون من الروح القدس فلا تفصل بينهم ألوان اللغات ما دام ما في القلب واحد، وهو المحبّة والسّلام والفرح وكلّ ثمار الروح.

لن نكون واحداً إذا "امتلاًنا من الروح القدس". المكان الذي سيلتقي فيه الناس ويتكلّمون بلغة واحدة هي "حيّز القداسة" والقلب الطاهر الذي يقبل "ندى الروح المتنسّم ناراً".

العنصرة هي كمال التدبير الإلهيّ، لقد تجسّد يسوع ومات وقام ليؤسّس كنيسته التي هي مكان إرسال الروح القدس. غاية الكنيسة هي تأهيل النفوس لسكب الروح، روح الحقّ. الكنيسة برج محبّة نبنيه بدل برج بابل.

روح المصالح وأرواح الإيديولوجيات لطلما مزّقت البشر. وروح الحقّ، الروح القدس، "يجمع الكلّ إلى اتّحاد واحد"!

فيا أيّها الملك السماويّ المعزّي روح الحقّ... هلمّ واسكنّ فينا.

آمين